رسالة في الفاعل للسيد كاظم الحسيني

(ت ١٢٥٩هـ)

دراسة وتحقيق

د.جاسم محمد موسى*
د.علي سعد لطيف

● المقدمة:

إنَّ التداخل في العلوم أمرٌ طبيعي نشـــأ مع نشأة العلوم، فكثير من المسائل المشتركة بين الفلسفة والمنطق وعلم الكلام واللغة وعلوم الشريعة قد فطن لها العلماء المسلمون، وزخرت بها مؤلفاتهم، ومنها المسائل المشتركة بين علمي المنطق والنحو العربي، بل لا يبعد أن يكون علم أصول النحو قد نتج عن علم المنطق والفلســـفة والكلام، وقد نظمه ورتبه بالشـــكل الحالي المناطقة والفلاسفة أمثال أبي البركات الأنباري والسكاكي والتفتازاني والجرجاني والسيوطي.

إنَّ هذا التداخل لم يفارق اللغويين العرب الذين بحثوا في التراث العربي، فكان تداخل العلوم بعضها ببعض واضحاً في مؤلفاتهم، لاسيما كتب النحو عند المتأخرين، وفي أثناء تفتيشنا في خزانة المخطوطات القديمة في المجمع العلمي العراقي، وقعت بأيدينا أوراق هذا النص، وبعد قراءته تثبتنا من كونه نصاً نحوياً غير منشـــور ســـابقاً وصاحبه هو السيد كاظم الحســـني (رحمه الله)، وهذا النص النحوي عني ببيان الفاعل وأحكامه وأحواله في ضوء نزعة المنطق الطاغية على العرض والتفسير لما هو مذكور، وبعد عناء في قراءة مخطوطة يتيمة فريدة اســـتطعنا إخراج النص إلى الوجود؛ وبعد برهة من الزمن اســـتطعنا العثور على نسخة أخرى لها، فجاء التحقيق على نسختين فكتبنا له دراسة عن حياة المؤلف وعن الفاعل في العربية وأحكامه وأحواله.

وبعد، فـــإن كان عملنا في هذا المخطوط وافياً بالغرض، محققين القَصْد فبتوفيق من الله تعالى وعنايته وفضله، وإن كان غير ذلك فحسبنا أننا بذلنا ما في وسعنا.

* جامعة واسط- كلية التربية الأساسية - قسم اللغة العربية.

أولاً: الدراسة

●المؤلـــف: الســـيد كاظم السيد قاســـم الحسيني[1]

هو الســـيد كاظم بن قاسم الحسيني، المولود في مدينة (رشت)، درس المقدمات على بعض علمائها، ثمَّ انتقل إلى (يزد) بقصد إكمال دراســـته، وهناك التقى الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي وتتلمذ له، وكان يصاحبه في السفر والحضر، ثمَّ استوطنا كربلاء، ولمّا عزم الشيخ الإحســـائي على الحجّ سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م ووصل إلى مدينـــــة (هدية)[2] قرب المدينـــة المنورة، وافاه الأجل، فحمل إلى المدينة المنورة «ودفن خلـــف حائط أئمة البقيع - (عليهم الســـلام)-»[3]، وكان قد أوصى في أواخر أيّامه «بأن يكون السيد كاظم الرشتي خليفته من بعده، وقال لأتباعه: لا يوجد ســـوى السيد كاظم الرشتي الذي يعرفُ مقصدي ولا يقدر أحـــدٌ أن يفهمه خلافه، فاطلبوا علومي من السيد كاظم الرشتي فقد تلقاها مني مباشرةً وهي التي تلقيتهـــا من الأئمة الذين تلقوها من رســـول الله. فهو وحده الذي يعرف مغزى كلامي»[4].

وهنـــا لابدَّ من الاســـتطراد قليلاً والإشـــارة إلى بعـــض عقائد (الشـــيخيّة) التي مثّلها الشـــيخ الإحسائي وتلميذه الســـيد كاظم الحسيني. فقد تعمّق هؤلاء وحاولوا فلســـفة آرائهم بشكل أثار اســـتغراب الآخرين وتحفظهم، من ذلك قولهم: إنَّ «الجســـد العنصري لا يعود يوم القيامة»[5]. وإنَّ «لله عِلْمين، الأول: علمٌ قديم... والثاني: علم الحادث...»[6] وإنَّ «للإنســـان جسدين، احدهما: هورقليائي والثاني صوري...»[7].

ونســـبَ الدكتور علي الوردي إلى الشيخ الإحسائي انه كان «في كتاباته ودروسه يُكثِر من الإشارة إلى قرب ظهور الإمام الغائب بمناســـبة انقضاء ألف سنة على غيبته»[8].

وردَّ الدكتور علي الوردي بعـــدم ورود مثل ذلك المعنى في كتب أو في أجوبة المسائل «التي كانت ترد عليه وما أكثرها»[9]، وتُنسَبُ إليهم العقائد «المغالية في محبة أهل البيت»[10]، ويزعم الشـــيخيون أنهم لا يختلفون عن غيرهم من المسلمين و «أنَّ الشيخ احمد زين الدين رجـــل إمامي أثنا عشري أصولي طريقته هي طريقة الاجتهاد والتقليد...»[11].

وبعد وفاة الشـــيخ الإحســـائي، قام السيد كاظم الحســـيني مقامه في التدريـــس وأداء الوظائف الشرعية، وقد حضر دروسه جمعٌ من طلابه وكان بينهم بعض المندســـين كالـــرّوسي (دالكوركي) الذي حضر دروســـه متنكراً باسم (الشيخ عيسى اللنكراني)[12]، وبقي الســـيد كاظم الحســـيني

---

(١)أفدنا في ترجمته من (آثار العلامة السيد كاظم الرشتي الحسيني)، وضع وترتيب: رياض طاهر، مط، الآداب في النجف: ١-٢٦.

(٢) هي مدينة تقع ما بين المدينة ومكة. معجم البلدان: ج١/ص١١١ ـ ١١٢.

(٣)فهرست تصانيف العلامة الشيخ احمد الإحسائي، رياض طاهر: ج٣.

(٤)لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. علي الوردي:ج ٢/ص١٣٢.

(٥) نقد وإيقاظ، صالح باقر:ص ١٣.

(٦)أي:علم الله قديم أزلي يشمل كل شيء، ومتجدد باعتبار تعلقه بالمعلوم مع أنه أمر ثبوتي أي: إن العلم أمر ثابت لا يزيد ولا ينقص ومع ذلك يتجدد بنسبته للمعلوم. ينظر: نقد وإيقاظ:ص ٢٧.

(٧)يعني: إن للإنسان جسدين الأول: يعاد يوم القيامة وهو الجسد الأصلي، والثاني: أعني العارضي الذي ليس من الإنسان، وإنما هو عرض لحق المكلف من الأكل والشرب وليس من حقيقته، وإنما هو في نفس الأمر جسد تعليمي أو بحكمه وإن قلت: إنه من العناصر فإن كل ما تحت فلك القمر من العناصر الجواهر والأعراض ونفخ الشيطان في قلبه. ينظر: بحار الأنوار: ج٢٧/ص٢٧٩.

(٨) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ج٢/ص١٣٢.

(٩) الرجعة للشيخ احمد بن زين الدين الإحسائي: ٩.

(١٠) مدينة الحسين: ج٤/ص٥٣.

(١١) رسالة في ترجمة حياة الشيخ علي نقي بن الشيخ احمد الاحسائي، تأليف: الحاج ميرزا علي بن ميرزا موسى الحائري الاسكوئي: ص١٤.

(١٢) تُنظر: مذكرات (دالكوركي)، تعريب: السيد احمد الغالي:ص ٦٢ وما بعدها.

متصدراً للفتيا والتدريس طـــوال ١٨ عاماً حيث وافاهُ الأجل فتوفى سنة ١٢٥٩هـ.

● شيوخه:

١.الشيخ احمد الإحسائي ت ١٢٤١هـ.
٢.السيد عبد الله شبّر المولود بالنجف سنة ١١٨٨ه والمتوفى في مدينة الكاظمية سنة ١٢٤٢ه[١٣].
٣.الشـــيخ موسى بن الشـــيخ جعفر المتوفى سنة ١٢٤٣هـ.
٤.الشيخ علي البرغاني.

● تلامذته:

١.الشـــيخ حســـن بن علي الشـــهير بـ(كوهر) ت١٢٦٦هـ[١٤].
٢.الشيخ محمد شريف الكرماني.
٣.الشيخ عباس بن علي.
٤.السيد حسين القطيفي.
٥.الشيخ حسين الكنجوي.
٦.الشيخ حسين الكرماني.
٧.السيد حسن رضا الهندي.
٨.الشيخ حسن الدهلوي العظيم ابادي الهندي.
٩.العلامة الميرزا محمد شـــفيع بن محمد جعفر التبريزي[١٥].

● آراء العلماء فيه:

وممّا يدلّ على علوّ منزلة المؤلف، أنَّ للشاعر عبد الباقي العمريّ الموصليّ قصيدة في مدحه والترحيب به يوم توجه إلى بغداد، منها:

أهلاً بمن قال إلـــه السما
فوقَ الســـما لـجده: أهلاً
ومن أتى في حقـه (هل أتى)
نعم، وفي أولاده (قـــل: لا)
ذاك أبو الـغرّ لميامين كـــم
من آيـــةٍ في نعتهِ تُتلـــى
إن حـازَ قومٌ قـــسباتٌ من الـ
سبق فقد حازت بك الـــسؤلا
ذاتك للعلم غدت مظـــهراً
فهي له وهو لـــها مجلى
لم تلْقَ أبكارُ المعـاني ســـوى
فكرك يا كفء الـــعلا بعْـــلا
حملت أعبـــاءَ فنونٍ سمـت
لم يستطع رضوى لها حمـــلا
إليكَ دهراً قد شكـــت ثقلهـــا
وأنت لا تشكو لـها ثـــقلا[١٦]

● مؤلفاته:

أجاب السيد عن أسئلة كثيرة كانت ترد إليه من مختلف طبقات المجتمع، ومن أجوبته كانت عدداً كبيراً من الرسائل منها[١٧]:

١.شرح معنى قوله تعالى: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»[١٨].
٢.شرح معنى قوله تعالى: «شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ»[١٩].
٣.شرح عينية ابن سينا في(الروح) التي مطلعها:

هبطت إليكَ من المحلّ الأرفعِ
ورقاءَ ذات تعزز وتمنع

٤.تفسير الظاهر والباطن لقوله تعالى: «وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ»[٢٠].
٥.تفسير قوله تعالى: «وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»[٢١].
٦.تفســـير قوله تعالى: «لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ {٢٩} عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ»[٢٢].
٧.شرح حديث (إنَّ الله خلق المشية بنفسها، وخلق الأشياء بالمشيّة)[٢٣].

---

(١٣) تُنظر: تفسير القرآن الكريم، للسيد عبد الله شبّر: ص٣٣-٣٦.
(١٤) تُنظر: اجازات العلامة الكبير الميرزا حسن گوهر،ط، النجف، ١٩٦٨م-١٣٨٨ه.
(١٥) وهو الذي وجّه السؤال الذي كانت إجابته هذه الرسالة.
(١٦)الباقيات الصالحات، عبد الباقي العمري:ص ٩٦-٩٧.
(١٧) هذه الرسائل موجودة ضمن مجلد ضخم غير مرقم الصفحات في مكتبة المتحف العراقي تحت الرقم ١٠٧٨٢.
(١٨) سورة يس من الآية ٨٢.
(١٩) سورة آل عمران من الآية ١٨.
(٢٠) سورة الصافات من الآية ١٠٧.
(٢١) سورة آل عمران من الآية ٩٧.
(٢٢) سورة المدثر من الآية ٢٩-٣٠.
(٢٣) خرجنا الحديث في أثناء تحقيق المخطوطة.

٨.ما معنى (ليلة القدر).
٩.التفسير الظاهر والباطن لقوله تعالى: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ {٩٦} فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً»[٢٤].
١٠. ما وجه الجمع بين قوله سبحانه: «يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ»[٢٥]. وقوله سبحانه: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[٢٦]. فانَّ طلب الزيادة يدلُّ على الامتلاء.
١١. معنى الاستثناء في قوله تعالى: «خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ»[٢٧].
١٢. رسالة في علم الأخلاق وكيفية السلوك إلى الله.
١٣. رسالة (الحجة البالغة) وهي ردّ على اليهود والنصارى والصابئة وسائر الملل غير المسلمة.
١٤. شرح (دعاء السمات)[٢٨].
١٥. تفسير قوله تعالى: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ»[٢٩].
١٦. معنى العرش في قوله تعالى: «وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ»[٣٠].
١٧. تفسير (الحروف النورانية) في أوائل بعض سور القرآن.
١٨. تفسير قوله تعالى: «ألم {١} ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ»[٣١].
١٩. تفسير قوله تعالى: «وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ»[٣٢].
٢٠. تفسير وتأويل قوله تعالى: «وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ»[٣٣].
٢١. تفسير قوله تعالى: «مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا»[٣٤].
٢٢. تفسير قوله تعالى: «وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً»[٣٥].
٢٣. معنى قوله تعالى: «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ»[٣٦].
٢٤. إجازته إلى الشيخ حسن بن علي الشهير بـ(كوهر) وقد طبعت ضمن (إجازات العلامة الكبير الميرزا حسن گوهر)[٣٧].
٢٥. رسالة في الفاعل – موضوع البحث وسيأتي الحديث عنها.

ثانياً: منهج التحقيق

١- موضوع المخطوطة ومنهج المؤلف:

إن موضوع المخطوطة هو بحث في الفاعل وأحواله وأحكامه في العربية، غير أن ما يميّز أسلوب الطرح أنَّ للسيد كاظم الحسيني رأياً معروفاً في الضمير المستتر في الفعل المتأخر عن فاعله، حيث إنَّ السائل يشير بعبارة (ولا تقولونَ بِهِ) لقضية عودة الضمير في (ضربَ) إلى ذات (زيد) في قولنا: (زيدٌ ضربَ).

وعندما يبدأ المؤلف بالإجابة فإنه يقدّم بكون العامل يؤثر في المعمول ولكن في لفظهِ أو في معناه، فيفترض ثلاث فرضيات:

الأولى: إنَّ العامل يؤثر في اللفظ دون المعنى.

---

(٢٤) سورة آل عمران من الآية ٩٦-٩٧.
(٢٥) سورة ق من الآية ٢٩.
(٢٦) سورة السجدة من الآية ١٣.
(٢٧) سورة هود من الآية ١٠٨.
(٢٨)دعاء السمات: (أوله: اللهم اني اسألك باسمك العظيم الاعظم، الأعز الأجل الأكرم الذي إذا دُعيتَ به على مغالق ابواب السماء للفتح بالرحمة انفتحت...) ينظر بتمامه في (جنة الأمان الواقية وجنة الاسمان الباقية)، للشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي العاملي الكفعمي:ص٤٢٣-٤٢٦. ينظر: ترجمة الكفعمي في أمل الآمل، للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ):ج ١/ص٢٨.
(٢٩) سورة البقرة من الآية ٢٥٥.
(٣٠) سورة الحاقة من الآية ١٧.
(٣١) سورة البقرة من الآية ١-٢.
(٣٢) سورة الزمر من الآية ٦٧.
(٣٣) سورة المؤمنون من الآية ٢٠.
(٣٤) سورة المجادلة من الآية ٧.
(٣٥) سورة طه من الآية ١١٥.
(٣٦) سورة النور من الآية ٣٥.
(٣٧)مطبعة النعمان، النجف الأشرف١٩٦٨م-١٣٨٨هـ.

الثانية: إنَّ العامل يؤثر في المعنى دون اللفظ.
الثالثة: إنَّ العامل يؤثر في اللفظ والمعنى كليهما.

وبعد أن يُعرِّض هذه الاحتمالات لمحاكاةٍ عقلية لا تخلو من تعقيد يُرجّح الاحتمال الثالث، مستفيداً من حديثٍ رويَ عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وقفنا عليه بعد جهدٍ طويل. ثمَّ يستمرّ المؤلف بإجابة السائل معتمداً على بعض الآيات القرآنية، وفقرة من دعاءٍ للإمام الحسين(عليه السلام) أنفقنا في البحثِ عنها طويلاً من الوقت.

ويضربُ المؤلف بعض الأمثلة ليتوصل منها إلى فكرته كمثال الشخص إذا وقفَ أمام المرآة، فإنَّ الذي يظهر على المرآة صورة الشخص، لا الشخص نفسه، يستدلُّ من ذلك إنَّ الضمير المستتر في الفعل لا يعود إلى الفاعل نفسه وإنما إلى ما يسميه (الاسم الفاعل).

ويكثر المؤلف في رسالته من عبارات التأكيد والوثوق مثل: لا ريب عند كلّ أحد، لاشكَّ... الخ.

وفي الرسالة كثير من التعقيد والتعمق الفلسفي والكلامي، حتى إنّنا- على قلّة بضاعتنا، وكثرة إضاعتنا- لم نعرف ما قصده بقوله: (النقش الفهواني).

ونحسَبُ أن المؤلف أدركَ صعوبة فهم المقصود من كلامه، فاعتذر- في نهاية الرسالة- بعلوّ المطلب وفقدان المشعر.

وهذه الرسالة تمثل اتجاهاً جديداً في النحو العربي وتُعدُّ امتداداً للتأثيرات التي تعرّضَ لها النحو العربي من علوم المنطق والفلسفة، وجدّة الاتجاه الذي تمثله هذه الرسالة يبينُ في الإغراق في تسليط علوم الكلام والفلسفة على النحو العربي.

٢- الفاعل وأحكامه في العربية

الفاعل: هو الاسم المسند إليه فِعْلٌ على طريقة فَعَلَ، أو مضمن معناه، تام مقدّم فارغ غير مصوغ للمفعول[٣٨]. فالفاعل والمبتدأ مسند إليه وهما الأصل في المرفوعات، وتتكون الجملة الفعلية من ركنين أساسيين: هما الفعل والفاعل، وعلى هذه الصورة تكون الجملة الفعلية محفوظة الرتبة، أي يأتي الفعل ثم يأتي الفاعل بعده. وقد اختلف النحاة في أمر جواز أو امتناع تقدم الفاعل على فعله، فكانت نتيجة الاختلاف أن منع بعضهم تقدمه وجوزه بعضهم؛ فإذا تقدم الفاعل على الفعل تحولت الجملة الفعلية إلى اسمية، فيكون الفاعل المقدم مبتدأ ويكون الفعل والضمير العائد في محل رفع خبر المبتدأ – الفاعل في الأصل- وهو غير مستحسن عند بعض النحاة لعدم أمن اللبس بينه وبين المبتدأ[٣٩]؛ وقد حمله سيبويه على وجه القبح بقوله: «ويحتملون قبح الكلام حتى يضعوهُ في غير موضعهِ؛ لأنه مستقيم ليس فيه نقض، فمن ذلك قوله:

صددت فأطولتْ الصدود وقلما
وصال على طول الصدود يدوم

وإنما الكلام «وقلما يدوم وصال»[٤٠].

فالفاعل لا يتقدم على الفعل عند البصريين، وإذا تقدم أعربوه مبتدأ، والفعل بعدهُ رافع لضمير مستتر، أما مذهب الكوفيين فهو جواز تقديم الفاعل على الفعل، وقد استدلوا على جواز تقديمه على الفعل بورودهِ عن العرب في قول الزباء:

ما للجمال مشيها وئيداً
أجندلاً يحملن أمْ حديدا[٤١]

«فإنَّ (مشيها) عندهم فاعل للصفة (وئيداً) وعند غيرهم بدل من الجمال»[٤٢]؛ لأن الأصل في الفاعل ان يلي الفعل؛ لأنه كالجزء منه؛ ولأن تقديمه يوقع في اللبس بينهُ وبين المبتدأ[٤٣].

ويرى البلاغيون أن تقديم الفاعل على فعله يكون

(٣٨) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ص٧٥.

(٣٩) ينظر: الأشباه والنظائر: ج٢/ص٨٢، وبحوث بلاغية: ٤٣.
(٤٠) الكتاب: ج١/ص٣١.
(٤١) شرح ابن عقيل: ج١/ص٤٦٥.
(٤٢) ينظر: شرح ابن عقيل: ج١/ص٤٦٥.
(٤٣) المقتضب: ج١/ص١٦، ج٤/ص١٢٨، ينظر اللمع: ص٣١، والمفصل:ص ١٨، والإيضاح في شرح المفصل: ج١/ ص١٥٧، وشرح ابن عقيل: ج١/ص٤٦٥.

لمعانٍ تبعاً لترتيبهـــا في النفس، فالمعاني هي التي توجبُ التقديم أو التأخير في الأســـماء والأفعال، وهذا الكلام لا يتماشى مـــع منع البصريين تقديم الفاعل على الفعل(٤٤).

● **حذف الفاعل**

يحذف الفاعل عندما يكون الفعل مبنياً للمجهول؛ لأن مدار المبني للمجهـــول يدور في حذف الفاعل من الجملة وبناء الفعـــل للمجهول وهو لا يخرج عـــن كونه خروجاً عن تضـــام الجملة عن طريق الحذف، ويحذف الفاعل من الجملة لأسباب لفظية أو معنوية، فاللفظية منها: الإيجاز في العبارة، أو المحافظة على السَّجع في الكلام المنثور، أو المحافظة على الوزن في الشَّعر، كما في قول الأعشى:

عُلِّقْتُهَا عَرَضاً وعُلِّقَـتْ رَجُـلاً
غيرى وعُلَّقَ أُخْرى غَيْرَها الرَّجُلُ

فالشاعر بَنَى الفعل (عُلّق) للمجهول ثلاث مرات؛ لأنه لو ذَكَر الفاعل في كلِّ مرّة منها، أوفي بعضها ما استقام له وزن البيت.

أما الأســـباب المعنوية، فمنهـــا: أنّ الفاعل معلوم للمخاطـــب فلا حاجة إلى ذكـــره، أو كونُ الفاعل مجهولاً للمتكلم نفسِه فلا يمكنُ تعيينه للمخاطب، أو رغبة المتكلّم في الإبهام على الســـامع، أو رغبة المتكلم في إخفـــاء الفاعل، كأن يكـــون تأدباً مع الله(سبحانه وتعالى) (٤٥)، أو تعظيما لشأنه(٤٦)، أو تحقيراً أو ســـخرية(٤٧)، أو خوفاً عليه أو منه، وفي ذلك منتهى الأدب، ومراعـــاة لمقتضى الحال التي تعرف به البلاغة(٤٨)، إذن فالغرض من بناء الفعل للمفعول وحذف الفاعل هو الإعلام بوقوع الفعل بالمفعول، ولا غرض في إبانة الفاعل من هو(٤٩).

٣- وصف المخطوطة:

اعتمدنا في تحقيق الرسالة على نسختين للمخطوطة:

الأولى: رمزنا إليها بالحرف (أ) وهي نسخة مكتبة العلامة الحائري العامة في كربلاء، ضمن مجموع مرقم الصفحـــات يقع في ٣٣٤ صفحة من القطع المتوســـط. قياس صفحاته ٢٤×١٥ سم، في كل صفحة ٢١ سطراً.

يبدأ المجموع بكتاب شرح الفوائد للشـــيخ احمد الاحســـائي الذي يحتل الصفحـــات ١-٣٢٣، ثمَّ رسالة أجوبة محمد شـــفيع، والجواب عن سؤالِهِ الأول هو ما عملنا على تحقيقه ويحتلّ الصفحات ٣٢٣-٣٢٨. ثمَّ إجابة عن ســـؤاله الثاني المتعلق بالفرق بين البيـــان والأبـــواب البلاغية الأخرى، وتحتل الصفحات ٣٢٨-٣٣٣، يلي ذلك قصة تحتل صفحة واحدة، بدايتهـــا (كان في زماننا رجل... الخ..) ناسخها محمد بن علي بن محمد التبريزي تاريخ النسخ ١٢٧٣هـ.

الثانية: نســـخة مكتبة المتحف العراقي وتحمل

---

(٤٤)ينظـــر: مفتاح العلـــوم: ص٢٠١-٢٠٢، والإيضاح: ص٣٦، كما في قوله تعالى: «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ» [سورة الرعد: ٨] فأصل الجملة هو: يعلم الله...، فقُدِّم لفظ الجلالة (الله) على الفعـل (يعلم) في تركيب الجملة.

(٤٥) قوله تعالى: «وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً» ([سورة الجن: ١٠] فنلاحظ أن إرادة الشر نُسبت إلى المجهول في بناء الفعل (أُريد) ولم تُنسب إلى الله تبارك وتعالى وذلك تأدباً. ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن – د. عبد الفتاح لاشين: ٨١.

(٤٦)قوله تعالى: «فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ *فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ* وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ*[سورة الأعراف: ١١٨-١٢٠] فنلاحظ أن الفعل (فغلبوا) جاء مبنياً للمجهول وذلك لأن الغرض منصبٌ على بيان أن السحرة غُلبوا وأن سحرهم أُبطل مع كونهم-بارعين فيه وفي ذلك إشارة إلى أن الذي غلبهم في الحقيقة ليس موسى (عليه السلام) وإنما هي قوة خارجة عن قدرة موسى(عليه السلام) أيدتـه وجعلت عصاه تلقف ما يلقون. ينظر: خصائص التراكيب: ص١٧٧-١٧٨.

(٤٧) قوله تعالى: «وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ» [سورة البقرة: ٩٣] إذ أن جملة المبني للمجهول تصور بكل أركانها تلك الصورة الساخرة، صورة العجل يُحشر في القلوب ويُدخل فيها إدخالاً بفعل قوة خارجية. وذلك من فرط حبهم لعبادته أي إنها صورة مُتخيلة تعبر عن حبهم وتعلقهم بهذا العجل وشدة تعلقهم به. ينظر: جماليات المفردة القرآنية – د. أحمد ياسوف: ص١٣ والتصوير بالكلمات- ناديا سلطان:ص ١٣٧.

(٤٨)ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن – د. عبد الفتاح لاشين:ص ٨١.

(٤٩)ينظر: البرهان في علوم القرآن: ج٣/ص١١٤، ومن أساليب التعبير القرآني:ص ٣١٩.

الرقـــم ١٠٧٨٢ ضمن مجموع ضخم يحتوي على عدد كبير من رســـائل الســـيد ومؤلفاته، صوّرنا منها موضوع الحاجة. ولا يعرف ناسخها وتاريخ نسخها، ورمزنا لها بالحرف (ب).

٤- منهج التحقيق

١.المقابلة بين النســـختين وتثبيت مـــا أراهُ أقرب للصحة في المتن مع الإشارة إلى اختلاف النسختين في الهامش.

٢.وضع بعض العناوين الفرعية بين معقوفين.

٣.تخرج الآيات القرآنية والأحاديث.

٤.وضع علامات الترقيم.

٥.التوســـع في بعض المطالب أو الإشارة إلى بعض المراجع في الهامش.

الصفحة الأولى من النسخة (أ)

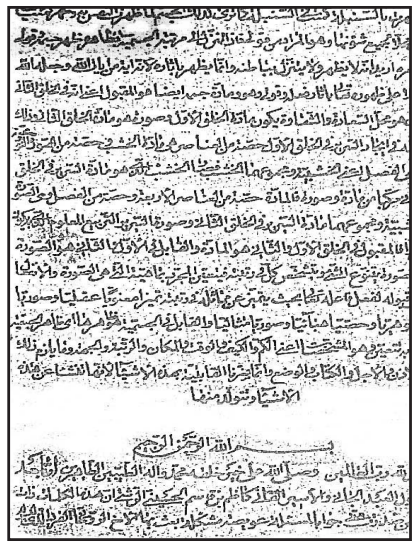

جزء من الصفحة الثانية نسخة (ب)

الصفحة الثانية من النسخة (أ)

ثانياً: النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين[٥٠].

أما بعد، فيقول العبد الجاني والأسير الفاني كاظم ابن قاسم الحسيني الرشتي: إنَّ هذه الكلمات ذات تبيين صدرت منّي جواباً لمسألة عويصة مشكلة، بعث بها الأخ الروحاني الفرد الذي ليسَ له [٣٢٣] ثاني، كريم الاخـــلاق، طيّب الاعراق، المؤيد بلطف اللطيف البديع، جناب الأميرزا محمد شفيع -أيّده الله بصنوف تأييداته، ووفقه بجوامع توفيقاته-. وجعلتُ كلامه – سلمه الله تعالى[٥١]- متناً وجوابي كالشرح له ليُطابق كلَّ جوابٍ بســـؤالِهِ[٥٢]، والله المستعان وعليه التكلان.

قال سلّمه الله تعالى[٥٣]:

المسألة التي تعسَّرَ عليَّ حلّها واستدعى من جنابكم

(٥٠) في (ب) وآله الطاهرين الطيبين.

(٥١) في (ب) وجعلتُ كلامه – سلمه الله – متناً.

(٥٢) في (أ): ليطابق كل جواب لسؤاله.

(٥٣) في (أ): قال – سلمه الله -.

الأمجد المؤيد منَ الفرد الصمد أن تبيّن تلكَ المسألة بياناً واضحاً، وتبياناً لائحـــاً بحيث لا يخفى على ذوي حجج، وينتفع بها كل من ألقى السمعَ وهو شهيد. وهي هذه:

إنَّ ضمير الفاعل في نحو: «زيدٌ ضربَ» ونحوه، هل يرجع الى ذات زيد ولا تقولون به[٥٤] أو إلى عنوانه ودليلـــه. وإنْ كان المقصود هـــو الذات، فإنْ كان الثاني، فهل للعنوان وجود قبل الفعل حتى يصحّ كونه مرجعاً لهُ، أو بعده: حتى يصحّ الإضمار قبل الذكر لفظاً ومعنىً.

فـــإن كان الأول، فلابدَّ مـــن أن يوضح طريق كون وجوده قبل الفعل. وإن كان الثاني فلابد أن يعرف[٥٥] وجه صحته.

[الجواب][٥٦]:

أقول: لا ريبَ عنـــد كلّ عاقل عارفٍ، أنّ الفاعل مشـــتقٌّ من المصدر؛ والدليلُ على ذلك إنّ الفاعل معمولٌ للفعلِ، ومرفوعٌ به.

ولا ريبَ، أن العاملَ هو الفاعل المؤثِّر، والمعمول هُوَ المفعول المتأثر - ولا شك-، أنّ متعلّق الفعل أثرٌ لَهُ، ومعموله، ومفعولٌ له؛ وإلا لكانَ: أمّا نفسه، أو أعلى منه.

ولا ريبَ، أنّ الشيء لا يؤثِّرُ في نفسِـــهِ من حيث نفسه، وإلا لكانَ تحصيلاً للحاصل؛ لأنّها إنْ كانت تامّةً، فلا يُعقَل إحداثهـــا، وإنْ كانت ناقصةً، فلا يُعقَل تأثيرها.

فإنَّ الشيءَ قبل تحققـــه لا يحققُ غيرهُ، والذاتُ قبلَ تمامها لا تُحدثُ[٥٧] فعـــلاً ضرورة، وكذا لا يؤثر الشيء في الأعلى منـــه؛ وإلاّ كانَ المفعول من حيث هو كذلـــك فاعلاً، والفاعـــل من حيث هو مفعول، وهو في البطلان بمكان؛ أيجوِّزُ العقلُ[٥٨] أن تُؤَثِّر[٥٩] الأشعة ذات السراج، والقيام والقعود في ذات الشخص، وذلك معلوم بالضرورة، وكذا[٦٠] معلوم بالـــضرورة: أنَّ الفعل يعمل في الفاعل[٦١]، ويرفعه. ولولا الفعل لمـــا كان مرفوعاً وموصوفاً بالرفع أبداً[٦٢].

وهـــذا لا يخلو[٦٣]، إما أن يكـــون هذا التأثير في اللفظ فقط دون المعنى. أو في المعنى دون اللفظ. أو في اللفظ والمعنى كليهما.

والوســـط[٦٤] بديهيّ البطـــلان؛ لأنّ تأثير الفعل في لفظ الفاعل ظاهـــراً كانَ أم ضميراً: بارزاً كان أم مســـتتراً، معلومٌ ظاهرٌ متّفقٌ عليهِ لدى كلّ أهل العلم، بحيث إنكاره مصادمة للضروري ومزاحمة للبديهي. {٣٢٤}

فبقي: أمّا على الأول، أو على الآخر[٦٥].

الأول: تأثير الفعل في لفظ الفاعل فقط[٦٦]:

أمّا على الأول[٦٧]: فلا يصح أيضاً؛ لاســـتلزام ألّا يكـــون الواضعُ حكيماً: حيثُ جعل الأصل في الذات فرعاً في اللفظ والظاهر، وجعل[٦٨] الفرع في الذات أصـــلاً في اللفظ[٦٩]، وجعل الأســـفل أعلى، والأعلى أسفل، وهو خلاف الحكمة؛ لأنّها [أي: الحكمة[٧٠]] وضع الشيء في موضعه. ولعمري! أنّ هذا لا يصدرُ عن جاهِلٍ فضلاً عن حكيمٍ عالمٍ[٧١].

---

(٥٤) في (ب): ولا تقولون أو الى عنوانه.
(٥٥) في النسختين: تعرف -بالتاء -، وقد ذكرت الفعل لأنّ فاعله (وجه) مذكر.
(٥٦) ما بين المعقوفين من إضافات المحققين.
(٥٧) في النسختين: لا يحدث، وقد أنثتُ الفعل، لأن فاعله (الذات) مؤنث.
(٥٨) في (ب): أيجوز في العقل.
(٥٩) في النسختين: (يؤثر) وقد أنثنا الفعل لأن فاعله (الأشعة) مؤنث.
(٦٠) في (أ): وكل معلوم بالضرورة.
(٦١) في (ب): إن الفعل يعمل بالفاعل.
(٦٢) في (ب): لما كان مرفوعاً موصوفاً بالرفع. بسقوط واو العطف.
(٦٣) في (أ): لا يخلوا بواو الجماعة. ونحسَب أن ذلك من خطأ الناسخ.
(٦٤) في (ب): والوسيط بديهي.
(٦٥) في (أ): إما على الأول وعلى الآخر.
(٦٦) ما بين المعقوفين من إضافات المحققين.
(٦٧) في (ب): إما الأول فلا يصح أيضاً، بسقوط حرف الجر (على).
(٦٨) في (ب): سقط الفعل (جعل): والفرع في الذات أصلاً.
(٦٩) في (ب): سقطت عبارة: (في اللفظ).
(٧٠) ما بين المعقوفين من إضافات المحققين.
(٧١) في (ب): حُذفَتْ كلمة (عالم).

إذ لا ريب أنّ جعل الأصـــل حقيقةً أصلاً لفظاً، والفـــرع فرعاً هو الأصل الـــذي تقتضيه الحكمة الإلهية.

وقد ثبت أنّ الواضع لهذا العلم هو مولانا[٧٢] أمير المؤمنين عليه الصلاة[٧٣] والسلام[٧٤]، وهو لا يخّل بالحكمة ولا يترك الأولى والأليق كما هو المعلوم.

الآخر:

تأثير الفعل في اللفظ والمعنى كليهما[٧٥]:

فإذا بطل الأول ثبت الآخر: بأن يكون العامل هو العامل في اللفظ والمعنى، والمعمول هو المعمول في اللفظ والمعنى.

ولاشـــكّ أنّ المعمول هو الأثر، وقد برهنّا على أنّ ذلك هو المصـــدر، وهو المفعول المطلق الذي تعلق بـــه الفعل أولاً، ويؤيد، بل يـــدلّ عليه قوله (عليه السلام): خلقَ اللهُ الأشـــياء بالمشيةِ، وخَلَقَ المشيّةَ بنفسها [٧٦].

---

(٧٢) في النسختين: هولينا.

(٧٣) في النسخة (أ): الصلوة، وفي(ب): اكتفى الناسخ بالحرف(ع).

(٧٤) شكَّ الدكتور شوقي ضيف في الروايات التي تذكر أن الإمام علي (عليه السلام) هو الذي أوحى ببدايات علم النحو، المدارس النحوية:ص١٥ وما بعدها. وقد رجعت لبعض المصادر واستقيتُ منها ما يفيد علماً بثبوت؛ لأن الواضع لعلم النحو هو الإمام علي أو انه أوحى بفكرة هذا العلم للصحابي الجليل أبي الأسود الدؤلي، وهذا رَصدٌ لبعض ما حصلتُ عليه:

١.أبو العباس المبرد (ت٢٨٦هـ): ذكر أنّ ابنة أبي الأسود الدؤلي، قالت ما أشَدُّ الحرِّ؟ فقال لها: الحصباءُ بالرمضاءِ. قالت: إنما تعجبتُ من شدته. قال: أو قد لحن الناس؟ فأخبر بذلك علياً رحمةُ اللهِ عليه، فأعطاهُ أصولا بنى منها، وعمل بعدُ عليها). الفاضل: ص٩٥.

٢.أبو بكر بن الأنباري (ت٣٢٨هـ) ذكر أن أبا الأسود (أخذ النحو عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) ونقل عن التوزي عن أبي عبيدة أن أوّل من وضع النحو أبو الأسود الدؤلي. إيضاح الوقف والابتداء:ص ٣٩-٤٤.

٣.أبو الطيب اللغوي (ت ٣٥١هـ): ثمَّ كان أوّل من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤلي فيما حدّثنا به أبو الفضل جعفر بن محمد بن بانويه، قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن حميد، قال:اخبرنا أبو حاتم السجستاني واخبرنا أبو بكر محمد بن يحيى قال: حدثنا محمد بن يزيد النحوي، قال: حدثنا أبو عمر الجرحي، عن الخليل قالوا: وكان أبو الأسود: اجعل للناس حروفاً – وأشار له إلى الرفع والنصب والجر – فكان أبو الأسود ضنيناً بما أخذه من ذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام). مراتب النحويين: ٢٤.

٤.أبو بكر الزُّبيدي (ت٣٧٩) (وقال أبو العباس محمد بن يزيد: سُئل أبو الأسود الدؤلي عمن فتح له الطريق إلى الوضع في النحو وأرشده إليه، فقال: تلقيته من علي بن أبي طالب رحمه الله. وفي حديث آخر قال: ألقى إليَّ عليٌّ أصولا احذيتُ عليها..).طبقات النحويين واللغويين:ص ٢١.

٥.أبو حيّان التوحيدي (ت٣٨٠هـ) ذكر أن الإمام (علي بن أبي طالب(عليه السلام) سمعَ قارئاً يقرأ على غير وجه الصواب فساءه ذلك، فتقدّم إلى أبي الأسود الدؤلي حتى وضع للناس أصلا ومثالاً وباباً وقياساً، بعد أن فتق له-حاشيته، ومهد له مهّاده، وضرب له قواعده). البصائر والذخائر: ج١/ص٨٣.

٦.أبو سعيد السيرافي (ت٣٨١هـ)، نقل عن أبي عبيدة معمّر بن المثنى قوله: (أخذ أبو الأسود عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) العربية فكان لا يخرج شيئاً مما أخذه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى أحدٍ...). أخبار النحويين البصريين:ص ١٥ وما بعدها.

٧.ابن النديم (ت ٣٨٥هـ) (قال محمد بن اسحق: زعم أكثر العلماء أن النحو أُخذ عن أبي الأسود الدؤلي وان أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). الفهرست: ص٥٩. لو أردنا استقصاء رواة أخبار وضع الإمام علي (عليه السلام) لعام النحو لاحتجنا إلى وقتٍ طويل وحيّز اكبر لا تتسع له هذه الصفحات المتواضعة التي أردنا لها أن تكون لرسالة الفاعل. ولا يعتقد الباحثان أن هناك مانعاً عقلياً يمنع قبول مثل تلك الروايات المسندة، ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرون في لغة القرآن لغةً مقدسةً ينبغي صيانتها والمحافظة عليها، وقد كان زمن خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) زمناً امتزجت فيه الأمم المختلفة وانضوت تحت لواء الإسلام وأدى تمازجها واختلاطها بالعرب إلى فساد ألسنتهم وانحراف سليقتهم فظهر اللحن مما لفت نظر الخليفة المخلص إلى الاهتمام للأمر والعمل على علاج ظاهرة اللحن.

(٧٥) ما بين المعقوفين من إضافات المحققين

(٧٦) يُنظر: كتاب (التوحيد) للشيخ الجليل أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٨١هـ، تح: السيد هاشم الحسيني، ط، دار المعرفة، بيروت، لا:ت، ص١٤٨، عن أبي عبد الله (عليه السلام): خلق الله المشية بنفسها، وخلق الأشياء بالمشيّة، ص٣٣٩ وعن(عليه السلام): خلق الله المشية قبل الأشياء، ثمَّ خلق الأشياء بالمشية.

و(الأشـــياء) جمع مُحلّى بالـــلام يفيد العموم والاستغراق، وهو كلّ ما سوى الله.

ولاشـــك، أنّ الفاعل ليس هو الذات، وإلا لما أثر وعمل فيه الفعل. بل هو اسم الفاعل، فإذا ثبت[٧٧] أنّ اسم الفاعل[٧٨] أثرٌ للفعل فلا تقدم على الفعل؛ لأن الأثر لا يتقدّم على مؤثره، والفرعُ لا يتقدم على أصله. ولا ريب عند جميع أهل العلم من أهل النقل والعقل: أنّ الاسم الفاعل والاسم المفعول والصفة المشبهة مشـــتقةٌ إما من الفعل أو من المصدر على الخلاف [٧٩].

ولا ريبَ[٨٠]، عند كلِّ أحدٍ أنّ المشـــتق فرع للمبدأ، فكون الاســـم الفاعل مشـــتقاً[٨١] وفرعاً للفعل: اتفاقيّ عند الجميع.

والمشـــتق المتأخر عن المبـــدأ لفظاً فيكون كذلك معنىً لما بينا من اقتضاء الحكمة الأصلية، ودعوى العرضيّة تحتاج إلى دليلٍ واضح.

فإذا كان الاســـم الفاعل متأخـــراً عن الفعل في الرتبـــة، فاعلم انّك إذا قلتَ: «زيدٌ ضَرَبَ» مثلاً، فـ «زيد» في قوّة قولك: «زيـــدٌ ضارب»[٨٢]، لا «زيد» من حيث هو، فإنه من حيث هو: هو ليسَ إلاّ هو، فيظهر بمتعلق كل فعل فيُنسَبُ إليه أثرهُ.

فـــإذا ضربَ: يكونُ ضاربـــاً. وإذا نَصَرَ: يكونُ ناصراً وإذا قَتَلَ: يكـــونُ قاتلاً... وهكذا فالضمير المستتر في «زيدٌ ضَرَبَ» إنما يرجِع إلى «الضارب» المشـــتق المتحصّل من الفعل المتأخر عنهُ، المتقدم على الضمير، فلا يكونُ إضماراً قبلَ الذكر؛ لأنَكَ لّما ذَكّرْتَ «ضَرَبَ» وجِدَ الضاربُ حين تعلّق «ضَرَبَ» بـ «الضَّرْب»، فاســـتتر ضميره، فرجَعَ الى المذكور حُكمـــاً، كما في قولِهِ تعـــالى: «اعْدِلُواْ هُـــوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»[٨٣]، فقد ذَكَرَ: «العدلَ» حين قولهِ تعالى[٨٤] «اعدِلوُا»، فرجعَ الضميرُ إليه، وإنْ لَمْ يُذكر بصيغة مُصاغةٍ معلومـــةٍ، فيكفي لإرجـــاع الضمير هذا المقدار.. وكذا ها هنا.

فإنّ عند قولـــك، «ضربَ» تحقـــق «الضارب» فرجع إليه الضمير، فقولك: «زيدٌ ضَرَبَ»: «ضَرَبَ الضاربُ»، فهـــو يرجع إلى الضـــارب، ولّما كانَ «الضاربُ» مثالاً لـ(زيدٍ) ألقى مثالهُ[٨٥] بفعلهِ في هويّةِ «الـــضرب» ليعرفه به، والمثال: آية وحكاية، ليسَ له ظهور لنفسه إلاّ الممثل المحكي عنه، فإذا ظَهَرَ الممثَّلُ اضمحَلَّ المثـــالُ وخفي؛ ولذا لَمَّا ذُكِرَ اضمَحَلَّ جهة الضارب من حيث حكايته، فاكتفى بذكره عن ذكر مثاله، وإلا فـ «زيد» في نحو قولك: «زيدٌ ضَرَبَ» واقعٌ في مقام «الضاربُ» فكأنّك قُلتَ: «الضـــاربُ ضَرَبَ» ولّما كانَ «الضاربُ» _وان كانَ مشتقّاً من ضَرَبَ ومتفرعاً عليه ومنتهياً إليه_[٨٦].

إلاّ انّه حيث كان حكايةً للذاتِ وصفةً لها، أحدثها زيدٌ بفعلـــهِ ليكونَ دليلاً عليه وعنواناً له، فهو[٨٧]: آية وحكاية ودلالة على الـــذات، فتقدم على الفعل لأجل تلك الحكاية، وان لم يتحقق إلاّ بالفعل؛ لأنَّ الفعـــل من حيث هو له جهة آنيّة، وأمّا الاســـم – الفاعل الفعل – فليـــسَ إلاّ نفس الحكاية، فتقدم لشرف الدلالـــة، وإنْ كان متأخراً في الوجود لكنه متقدم في اللحاظ؛ ولـــذا[٨٨] لا يتحقق «الضارب»

---

(٧٧) في (ب): و؟إذا ثبت.

(٧٨) في (أ): أن الاسم الفاعل.

(٧٩) ناقش كمال الدين أبو البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ) ذلك في المسألة ٢٨. ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ج١/ ص٢٣٥ – ص٢٤٥، ويتلخص الخلاف بالآتي:

١. يرى الكوفيون أن المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه نحو: ضرب ضرباً، وقام قياماً.

٢. ويرى البصريون أن الفعل مشتق من المصدر وفرع عليه.

فالمشتقات التي ذكرها المؤلف (في المتن) مشتقة من العامل على رأي الكوفيين، ومن المصدر على رأي البصريين، ولكلٍّ من الفريقين أدلته وبراهينه.

(٨٠) في (ب): فلا ريب عند كلّ أحد.

(٨١) في (ب): فكون الاسم مشتقاً فرع.

(٨٢) في (ب): فتريدُ في قولِكَ «زيدٌ ضارب».

(٨٣) سورة المائدة من الآية ٨.

(٨٤) في (ب): حين قولهِ أعدلوا، من غير كلمة«تعالى».

(٨٥) في (ب): سقطت كلمة: «مثاله».

(٨٦) هنا يظهر انحياز المؤلف إلى رأي الكوفيين، لأنه يجعل اسم الفاعل – وهو من المشتقات – مشتقاً من الفعل، ويرى البصريون انّه مشتق من المصدر. وقد مرّت الإشارة إلى ذلك.

(٨٧) في (أ): فهي آية.

(٨٨) في (ب): ولا يتحقق، من غير «لذا».

إلاّ بعـــد «ضربَ» وبـــــ «ضَرَبَ»[٨٩]، ولكنه لأجلِ انتسابِهِ إلى الذات تقدم اعتباره عليه، كما أنّك إذا قابلتَ مَرايا، فالصورة التي وجدتْ وحُصِّلتْ إنما تحققت بفعلِكَ وإشراقك وتَجَلّيكَ وظهورِكَ، ولكنّكَ حين التفاتِكَ إليها تجد نَفْسَكَ المشرقةَ أولا، ولا تجد فعلّكَ وإشراقك، فـــإذا وجدتَ ذاتَكَ من حيث هي، من حيث ظهورها في المرآة نســـبتَ[٩٠] إليها الفعلَ والإشراق.

[مثال آخر][٩١]:

وأوضح منه مثالاً مقايسة المرآة مع الشاخص[٩٢] الخارجي، لا يمكنـــكَ (أن)[٢] تراه إلاّ بالمرآة، فإذا نَظَرْتَ إليها تجد صورةُ[٩٣] فيها، فتلفت إليه أولا ثمَّ تنســـب إليه الفعل والأثر، مع أن الذي أدركته هو صفته التي أحدثها بفعله، ولكنها حيث كانت منسوبَةً إلى نفس الشاخص من حيث هو أضمحلَّ اعتبار الفعل، فلوحظَت متقدمةً على الفعل، فقيل: «الضـــاربُ ضَرَبَ» أو «زيـــدٌ ضَرَبَ» أي «زيدٌ – الظاهـــر بالضرب – هو[٩٤] الضـــارب»، فمرجع الضمير[٩٥] الـــذات أي: إلى الاســـم الفاعل وهو العنوان الذي نريده[٩٦]، وهـــو بعد الفعل وجوداً وقبلـــه لحاظاً، فيصحّ أن تقـــولَ: إنّ الضمير[٩٧] يرجع إلى الذات الظاهرة من غير ملاحظة الظهور، وهو المراد والمقصود في جميع الأسماء – والصفات الفعليّة.

ويصحّ أن تقول: إنّ المرجع[٩٨] هو العنوان: أي الاسم الفاعل مرّة بملاحظة الفاعلية، ومرة من غير ملاحظتها.

وأمّا العنوان قبل الفعل:

فقد بيّنا لكم انّه بعـــد الفعل بالضرورةِ وجوداً والضمير عبارة عن جهة ظهور المرجع، ولا يظهر الفعل إلاّ بعد تعلقهِ بالأثـــر وبعد تحقق العنوان لأنه نفس الظهور، ومع قطـــع النظر عن التعلق الخـــاص، ولا ريب أنّ الضمير إنمـــا هو معمول للفعل، وهو وإن كانَ مســـاوقاً للعنوان إلا أنه من حيث العنوان متقدّم عليه ومن[٩٩] حيث المعمولية متأخر عنه، ولذا تجد الفاعل أظهر في المفعول من نفس المفعول:

«وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُـــمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ»[١٠٠] لأنّ المفعـــول إنمـــا ظَهَرَ بفاضـــلِ ظهوره، فهو أظهر منه[١٠١]، وإن كانَ بـــه فافهم. فانه دقيق، وقد أشارَ إلى هذا المعنى مولانا[١٠٢]الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفة «إلهي أمَرْتَ[١٠٣] بالرجوعِ إلى الآثار فأرْجِعْني إليْكَ[١٠٤] بكسوةِ الأنْوارِ وهدايَةِ الاستبصارِ حتى أَرْجَع إليك مِنْها كَمَا دَخَلْتُ إليكَ منها مَصُونَ السِّرِّ عن النَّظَرِ إليها ومرفوعَ الهمَّةِ عن الاعتمادِ عَليها إنَّكَ عـــلى كلِّ شَيءٍ قَديرٌ»[١٠٥] والدقيقة في قوله (عليه السلام): «مَصُونَ السِّرِّ... الخ»، ألا ترى انّـــكَ إذا نظرتَ في المرآة تجد وَجْهَكَ وتراهُ قبـــلَ التِفَاتَكَ إلى نفسِ الصورةِ والمرآة، وإنْ كانَ ما عرفتهُ إلا بها.

---

(٨٩) في (ب): «وبه» بدل «وبضربَ».
(٩٠) في (أ): نسبةٌ – بالتاء المربوطة.
(٩١) ما بين المعقوفين من إضافات المحققين.
(٩٢) في (ب): مع الشخص، بدل «الشاخص».
(٩٣) في (ب): صورتك، بدل «صورته».
(٩٤) في (ب): وهو ضارب.
(٩٥) في (ب): فمرجع الضمير الاسم الفاعل وهو العنوان.
(٩٦) في (ب): الذي نريد، من غير الضمير.
(٩٧) في (ب): فيصح أن تقول الضمير.
(٩٨) في (ب): ويصح أن يقول المرجع.
(٩٩) في (ب): متقدم عليه لا من حيث المعمولية ولذا تجد الفاعل في المفعول أظهر.
(١٠٠) سورة الواقعة من الآية (٨٥). وهي في نسختي التحقيق: (ونحن أقرب إليكم منكم ولكن لا تبصرون).
(١٠١) في (ب): فهو أظهر له منه له.
(١٠٢) في النسختين: (مولينا).
(١٠٣) في النسختين: (أمرتني).
(١٠٤) في النسختين: (إليها).
(١٠٥) تلك فقرةً من دعاء الإمام الحسين(عليه السلام) في يوم عرفة، مرويّ عن بشر وبشير ابن غالب الأسدي، قالا: كنا مع الحسين بن علي (عليهما السلام) عشية عرفة فخرج (عليه السلام) من فسطاطه متذللاً فجعل يمشي هوناً هوناً حتى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبلاً البيت ثمّ رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين، ثمّ قال: الحمدُ للهِ الذي ليسَ لقضائهِ دافعٌ ولا لعطائهِ مانعٌ ولا كصنعه صنعُ صانعٍ وهو الجوادُ الواسعُ... إلى آخر الدّعاء.. ينظر: مفاتيح الجنان:ص ٧٤.

فالعنوانُ متقَدِّمٌ على الأثَرِ من حيث الظهور وعدم التعلق[١٠٦] ومساوِقٌ معه في الأصلِ والذات، ومؤَخَّرٌ عنه[١٠٧] من حيث الحقيقة؛ ولذا قلنا في تعريف اسم الفاعل[١٠٨]: إنه عبارة [١٠٩] عن حكاية الفعل للمفعول وعدم استقلالية نفسه. والضمير: ظهور المرجع وحكايته بوصفٍ خاص، وهو من النوابع المتأخرة.

فالمرجع: هو الظهور من حيث هو لا من حيث التعلق والضمير المستتر الغائب في الفعل هو أثره ومعموله الفاني بنفسه عند ظهور مبدأه، وهو يَرجِع ويعودُ ويؤولُ إلى ذلك العنوان الحاصل بالفعل من غير ملاحظة الفعل نفسه، فيكونُ مقدماً عليهِ من حيث الحكاية ومؤخراً عنه من حيث الوجود ومساوقاً له من حيث الظهور، فما لزم الإضمار قبل الذكر، لأنَّ الضمير ليسَ عين الفعل، وإنما هو معموله الذي هو ظهور أثره[١١٠] من حيث مبدؤه، لا من حيث نفسه، وهو تابعٌ متأخرٌ عن الظهورِ من حيث هو.

فمرجع الضمير نفس ظهور الذات من حيث هو، والضمير ظهورها من حيث تعلق الفعل. وفي الحقيقة هو شرحٌ وبيانٌ للمرجع، ثمَّ[١١١] انّه لا يتَخيّل مُتَخَيِّلٌ أن ذلك هو الذات البحت، بل إنما هو الذات الظاهرة بالفعل، وهو العنوان والآية والعلامة والمقام والتجلي والمثال والظهور{٣٢٧} والاسم الفاعل والنقش الفهواني والخطاب الشفاهي والحقيقة من مبدئه، والنفس - التي من عرفها فقد عرف الله – والمثل الأعلى.. وأمثالها من العبارات؛ ولذلك تقول: «زيدٌ ضَرَبَ» و «زيدٌ عَلِمَ». أو تقول: «زيدٌ ضَاربٌ» و «زيدٌ عَالِمٌ».

وليكن عندكَ معلوماً أن الضرب هو المصدر، وهو نفس الأثر، والمفعول المطلق.

وإذا لاحظته من جهة ظهور المبدأ فيه وتجليه له به بان تزيد في وسطه الذي هو سره وقلبه ظهور الأصل الواحد الذي هو الألف اللينة بكون الاسم الفاعل وإذا لاحظته من جهة نفسه، وانه اثر ومفعول[١١٢].

تزيد فيه جهات الحدود الستة والأربعين يوماً لميقات موسى (واني خمرت طينة آدم أربعين صباحاً)[١١٣] فيكون الاسم المفعول بالفعل[١١٤] الذي له الضمير المستتر الغائب في باطنه في الغالب هو الفعل التأكيدي[١١٥] الظاهر من باطن المفعول المطلق التأكيدي، فهو وان كان فعلاً في الصورة، لكنه شبح ومثال الفعل الأصلي[١١٦]، وهو الذي يشتق منه الاسم الفاعل والاسم المفعول من مادة واحدة، فتقول: «زيدٌ ضَرَبَ» أو «زيدٌ ضَاربٌ» وقد يطلق «زيدٌ ضَرَبَ» ويراد به الفعل الأصلي، والضمير الغائب المستتر ليسَ في باطنه وسره، وإنما فانٍ ومضمحلّ عند ظهوره وسطوع نورهِ «فحين»[١١٧] يكون زيد هو الذات الظاهرة في الفعل والضمير مثاله الظاهر في المفعول تأكيد وآية للمثال الأول[١١٨] لا فرق بينه إلاّ انه شبحه ومثاله (وعبده)[١١٩] وخلقه فتقه ورتقه بيده بدؤه[١٢٠] منه وعوده إليه.

ففي المثال الأوّل يكون المرجع هو باطن الباطن، والفعل هو الباطن، والضمير هو الظاهر المطابق للباطن، والكلّ في صقعٍ واحدٍ. والفرق بالحكاية للشبح والحكاية للفعل، وذلك المرجع الذي هو باطن الباطن متقوّم بالفعل الأصلي، ومتأخر عنه وموجودٌ به ومستمد منه وصادرٌ عنه. فافهَمْ فإنّي قد أطلقْتُ عنانَ القَلَمِ في هذا الميدان، فإنّ فهمته فالحمدُ لله، وإلاّ فليسَ لقصورِ فهمكَ[١٢١]، وإدراكك بل لعلوِّ المطلب وفقدان المشعر.

---

(١٠٦) في (ب): وعدم التعلق مساوق معه، من غير واو.
(١٠٧) في (ب): ومؤخّرٌ عن الفعل.
(١٠٨) في (ب): في تعريف الاسم الفاعل.
(١٠٩) في (ب): انه حكاية عن تعريف الفعل للمفعول.
(١١٠) في (ب): وإنما هو معموله الذي هو أثر ظهوره من حيث..
(١١١) في (ب): لأنه لا يتخيل متخيل..
(١١٢) في (ب): وانه أثر مفعول، من غير واو العطف.
(١١٣) ما بين القوسين ساقطة من النسخة (ب).
(١١٤) في (أ): فالفعل الذي له الضمير.
(١١٥) في (ب): التأكيد الظاهري.
(١١٦) في (ب): للفعل الأصلي.
(١١٧) كذا في النسختين.
(١١٨) في (أ): وآية للمثال الأقل.
(١١٩) سقطت الكلمة بين القوسين من النسخة (أ).
(١٢٠) في (أ): بدءه.
(١٢١) في (ب): وإلاّ فليسَ لقصورٍ في فهمكَ.

● المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.
-آثار العلامة، السيد كاظم الحسيني (ت١٢٥٩ه)، وضع وترتيب: رياض طاهر، مط، الآداب في النجف، بلا: ت.
-اجازات العلامة الكبير الميرزا حسن گوهر (ت ١٢٦٦ه)، الناشر: مكتبة العلامة الحائري العامة –كربلاء، مط، النعمان في النجف ١٩٦٨م-١٣٨٨ه.
-اخبار النحويين البصريين لأبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تح: طه محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي - المدرسين بالأزهر الشريف، مصطفى البابي الحلبي، الطبعة٤،، ١٩٩٢.
-الأشباه والنظائر في النحو: لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، ط٣، عالم الكتب، القاهرة- مصر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
-أمل الآمل للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤ه)، الناشر: مكتبة الاندلس، مط، الآداب في النجف، بغداد، ط١، ١٣٨٥ه.
-الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: للشيخ كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت٥٧٧هـ)، ومعه كتاب «الإنتصاف من الإنصاف»: لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة- مصر، د.ت.
-ايضاح الوقف والابتداء، لأبي بكر بن الانباري، تح: محيي الدين رمضان، ط١، مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٩٧١م.
-الايضاح في شرح المفصل: لابن الحاجب أبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس (ت٦٤٦هـ)، تحقيق: أ.د. إبراهيم محمد عبد الله، ط١، دار سعد الدين، دمشق- سوريا، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
-الباقيات الصالحات، للشاعر عبد الباقي العمري الموصلي (ت١٢٧٨ه)، الناشر: مكتبة العلامة الحائري العامة – كربلاء ط٤، النجف، ١٩٧٢م.
-بحوث بلاغية: د.أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط١، ٢٠٠٦م.
-البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة- مصر، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.
-البصائر والذخائر، لأبي حَيّان التوحيدي، تح: د.وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
-تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: لجمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت٦٧٢هـ)، حققه وقدّم له: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، القاهرة- مصر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
-التصوير بالكلمات (مشروع دراسة للصورة الفنية في القرآن): ناديا سلطان، دار اشبيلية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
-تفسير القرآن الكريم، للسيد عبد الله شبّر، راجعهُ: د. حامد حنفي داود، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط٣، بيروت، ١٣٩٧ه – ١٩٧٧م.
-التوحيد، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١ه)، تحـ: السيد هاشم الحسيني، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لا:ت.
-جماليات المفردة القرآنية: د. أحمد ياسوف، دار المكتبي للطباعة والنشر، دمشق، ط٢، ١٩٩٩م.
-جنّة الأمان الواقية وجنّة الإيمان الباقية، للشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي العالمي الكفعمي، ط٢، بيروت، سنة الطبع ١٣٩٥ه – ١٩٧٥م.
-خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني محمد محمد أبو موسى، الناشر: مكتبة وهبة، ط٧، ٢٠١٠م.
-رجعة للشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي، (ت ١٢٤١ه)، تحـ: رياض طاهر، ط٢، مط: الآداب في النجف، ١٩٧٢م.
-رسالة في ترجمة حياة الشيخ علي نقي بن الشيخ احمد الاحسائي، تأليف: الحاج ميرزا علي بن ميرزا موسى الحائري الاسكوئي، مط، العدل في النجف، لا:ت.
-شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: لبهاء الدين عبد الله بن عقيل المصري (ت٧٦٩هـ)، ومعه كتاب: منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل: للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة- مصر، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
-طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاندلسي(ت ٣٧٩ه)، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر، سلسلة ذخائر العرب، ٥٠ – ١٩٧٣م.
-الفاضل، لأبي العباس المبرّد، تحقيق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، القاهرة ١٩٥٦م.

-فهرست تصانيف العلامة الشيخ احمد الاحسائي، رياض طاهر.
-الفهرست، لابن النديم، الناشر: دار المعرفة، بيروت، د.ت.
-الكتاب: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
-لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. علي الوردي، مطبعة الرشاد، بغداد ١٩٧١م.
-اللمع في العربية: لأبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: حامد المؤمن، ط١، مطبعة العاني، بغداد-العراق، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
-المدارس النحوية، د. شوقي ضيف، ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٧٦م.
-مدينة الحسين، السيد محمد حسن الكليدار آل طعمة، ط١، مط، تموز كربلاء ١٩٧١م – ١٣٩١ه.
-مذكرات د. الكوركي، تعريب: السيد احمد الموسوي الغالي منشور على الانترنت.
-مراتب النحويين، لابي الطيب اللغوي، (٣٥١ه)، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، ط، القاهرة، بلا: ت.
-معاني في ضوء أساليب القرآن: د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
-معجم البلدان، ياقوت الحموي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ٣٩٩ه، ١٩٧٩م.
-مفتاح العلوم: للامام أبي يعقوب يوسف السكاكي (ت٦٢٦هـ)، دار احياء الكتب العربية، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة – مصر، د.ت.
-المفصل في علم العربية: لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ومعه كتاب (الفيصل بشرح المفصل) لمحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الحجازي بالقاهرة – مصر، د. ت.
-المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرِّد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة – مصر ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.
-من أساليب التعبير القرآني دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني: د.طالب محمد الزوبعي، دار النهضة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.